

بديعة بوفامة : إسماع صوت المصابين بالتوحد

بديعة بوفامة هي أم لثلاثة أطفال منهم لقمان الذي بلغ هذا العام 22 سنة.. لقمان مصاب بالتوحد لكن تشخيص المرض تأخر كثيرا.. أمام عجزها إزاء هذا الاضطراب، خاضت بديعة مع أولياء آخرين معركة أدت إلى إنشاء جمعية "وفاء" في قسنطينة.

لقد لاحظت بديعة بعض الاضطرابات عند ابنها، لكن لم تستطع وضع صفة لتصرفاته غير متوازنة ووعيه المتقلب إلا بعد سنوات عرفت خلالها العديد من العراقيل.. بعد تجاوز هذه المرحلة، كانت خطواتها الأولى هي الاقتراب من أولياء يعيشون نفس الحالة.

بقيت بديعة بوفامة مذهولة لسنوات عدة في مواجهة محنة ببنها مع الشعور أنها تكافح دون جدوى لكن ذلك لم يضعفها بل صقل فيها شخصية قوية وأنى فيها الصبر والطاقة والتفهم التي صارت اتجاهها في الحياة بل ممارستها اليومية.. لقد كان للقاء الأولياء بطبيب في نفس الأطفال والمراهقين فائدة كبيرة في حيث أن مراقبته لهم ونصائحه أعادوا لهم الأمل.

في 2004، أنشأت بديعة بوفامة مع أصدقائها جمعية "وفاء" لمواجهة العراقيل الكثيرة والمطالبة بمكانة وفضاء لهؤلاء الأطفال المقصيين من المجتمع و"الممنوعين" من المدرسة العمومية.. لم تكن الهياكل الموجودة، سواء تلك المتعلقة بقطاع التضامن أو تلك التابعة بقطاع الصحة، تلبي لا حاجيات هؤلاء الأطفال ولا تطلعات أوليائهم حيث لم تقدم أي اقتراح للتكفل بهم أو لتوجيههم أو لدعمهم ولم تبد أية شفقة لهؤلاء المصابين بالتوحد والمتلازمين داون والمعاقين ذهنيا الذين توجه إليهم أصابع الاتهام.

لم يكن تجسيد إنشاء الجمعية وفضاء الاستقبال بها أمرا هيبا حيث أن استنجاز المقر بصفة متوالية نخرت الميزانية المشكلة من اشتراكات الأعضاء والمتطوعين وتبرعات المحسنين وكانت هذه معاناة طويلة..

مقر لجمعية "وفاء"

من قال أن المشاركة لا توتي ثمارها؟ بفضل الجهود المبذولة وتضحية أعضائها، استفادت جمعية "وفاء" في 2016 من مقر متمثل في مدرسة قديمة فارغة ومغلقة منذ 2011.. لقد منحت لها مديرية العمل الاجتماعي مدرسة إبراهيم بن سيحامدي بشارع رومانيا غير بعيد عن محطة القطار لقسنطينة فقرر إذن أعضاء الجمعية الاحتفاظ باسم المدرسة لمركزهم المختص بطلب نفس الأطفال والمراهقين الذي يستقبل اليوم 160 طفلا منهم 40 بلغوا سن الرشد، معظمهم مصابين بالتوحد.

يجب الإشارة إلى أن جمعية "وفاء" هي الأولى من نوعها على التراب الوطني ولقد تعززت بفضل المشاريع الكثيرة المركبة والمجسدة وللشراكات العديدة منها شراكة ممولّة من قبل الاتحاد الأوروبي.. هذا التقدم مرده أيضا نضال أعضائها الذين هم في غالبيتهم أولياء إلى جانب أصدقاء أطفال معاقين دون أن ننسى المتطوعين.

لقد كان منح المدرسة للجمعية مقيدا بشروط وفي مقدمتها ضرورة التكفل بجميع الأطفال المسجلين في قوائم الانتظار في المراكز العمومية.. هذا لم يربح بديعة بوفامة وأصدقائها لأن التخفيف عن الأولياء ومساعدتهم وتطوير المصاب بالتوحد لا تشكل إلزاما أو عائقا بالنسبة إليهم بل هو واجب وأكثر من ذلك تحد آخر وجب رفعه.. والدليل على ذلك هو كل المشاريع التي تم إطلاقها منها ما هو بصدد الإنجاز ومنها ما هو بصدد الإنضاج.. على سبيل المثال، هناك مشروع إنشاء أقسام جديدة (علاوة عن الأقسام الثمانية الموجودة حاليا) في فضاء تملكه للمدرسة وستخصص للتكفل الفردي بالمرضى والتحرريك النفسي والعلاج بالموسيقى ومن المفروض أن تكون جاهزة في شهر يونيو 2019.

من جهة أخرى، التكفل بالبالغين المعاقين ذهنيا هي مسألة مهمة بالنسبة لبديعة بوفامة وهي معركة لم تكسبها بعد، لكنها تخوضها بعناد وتبصر.. في هذا الصدد، قامت بإنشاء مركز للمساعدة بالعمل وأبرمت اتفاقية مع مركز للتعليم المهني حول مهنتين وهما الإعلام الآلي وصناعة الحلوى.. سيتم فتح اختصاصات أخرى لتلبية تطلعات وميولات هؤلاء البالغين الذين يعانون من هشاشة نفسية ليكتسبوا مهنة تكون لهم بمثابة مفتاح يهون عن معيشتهم بعض الشيء.

التحدي الآخر لبديعة بوفامة هو التكوين والذي سخرت له طاقة فائقة قصد السماح بتوعية زائدة وتشخيص مبكر وتكفل أفضل بالطفل المعاق بعيدا عن أي رفض أو حكم مسبق أو إقصاء اجتماعي.